بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

● المقدمة:

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى ربِّ العالمين، ومراقبته في السرِّ والنجوى، والتَّمسُّك بما أمر الله –تعالى –بهِ في كتابه، وبما أمر به رسوله –ﷺ-، فإنه لا فلاح ولا صلاح للعباد، إلا بتمسُّكهم بكتاب الله، وسنة رسوله –ﷺ-.

- قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[طه: 124-123] .

-الأسرة أساس كيان المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسد المجتمع كلُّه،

-ولهذا لم يترك الشَّرعُ توجيه الأسرة وبناءها هملا، بل أمر الأوامر، وقعَّد القواعد لتكوين أسرةٍ صالحة، ومن ثمَّ ينشأُ منها مجتمعٌ صالح،

- وتوعَّد المرأة بالنار لمن تكفر العشير،

●وأول ركائز صلاح الأسرة:

-ما وجَّه الأمرُ إليه نبينا مُحمَّد–ﷺ-، وجَّه الأمر إلى المجتمع؛ لأن المجتمع هو مسؤولٌ عن تكوين الأُسر، في أول أساس بنائها، وأول لبناتها، حيث قال النبي –صلى الله عليه وسلَّم- :

((إذا جاءكم مَن ترضَوْن دينَه وخُلُقَه فزوِّجوه إلَّا تفعَلوا تكُنْ فِتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ)).

-ووجَّه المجتمع إلى اختيار الزوجة الصالحة، فقال –ﷺ-: ((تُنكَحُ المرأةُ لأربَعٍ لمالِها ولحَسَبِها وجَمالِها ولدينِها، فاظفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَداكَ)).

●هاتان القاعدتان، وجَّهها النبي–ﷺ- للمجتمع، ليقوم المجتمع على لبنة صالحة،

- زوجٍ صالح يخاف ربَّ العالمين، ويتقِ الله في أهله وولده،

- وزوجة صالحة تتقي الله في زوجها، وتتقِّي الله في ولدها، وتتقِّيَ الله في أمانتها.

ثم إذا اجتمع الزوج والزوجة:

-وجَّه الشَّرع إليهما قواعد متينة، لتدوم الحياة فيما بينهما، وليستمرَّ الوئام بينهما؛

-لأن وئام الزوج والزوجة، يرجع آثاره وثمرته على الأولاد،

-فإذا لم يكن هناك وئامٌ بينهما، ترتَّب على ذلك شرٌّ مستطير،

-وهو أن يخرج الجيل من هذه الأسرة مُتشتِّتًا، يعيش في حياةٍ كئيبة، وفي ضيق،-فلهذا وجَّه الشَّرعُ إلى الزوج و الزوجة، قواعد لكي يعيشوا عيشةً هنيئةً، يحفُّها الوئام، والمحبة والسَّكينة، قال الله –سبحانهُ وتعالى- :

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[النساء: 19]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بالمعروف﴾[البقرة: 228]

-وقال النبي –ﷺ-:((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهلِهِ وأنا خَيْرُكُمْ لأهلِي))

وأمر كلّاً من الزوجين، أن يصبر على أحدهما الآخر، قال –ﷺ-:

((لا يفرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كرِهَ منْها خُلقًا رضِيَ منْها آخرَ)).

-كما نبَّه الشَّرع المرأة على أن تحفظ زوجها،

-وتراعي حق زوجها،

-وأن تحذر من كفران العشير،

فهذه أُسسٌ متينة، ليدوم الوئام والسكينة بين الزوجين.

ثم بعد ذلك هناك توجيهات للأبوين ليُصلحوا ذريَّتهما، ولتصلح الأسرة،

-فنبَّه الشَّرع إلى عظم أمانة الأولاد، وأن المسؤولية الأولى في صلاحهم، وتربيتهم تقعُ على الأبوين، لأنهما ركيزة المجتمع،

-فإذا أخرج الأبوان ذريَّة صالحة، كان المجتمع صالحًا، وإذا أخرج الأبوان ذريَّة

فاسدة، بسبب إهمالهما، نتج عن ذلك فساد المجتمع، ولهذا يقول نبينا مُحمَّد –ﷺ- : ((كُلُّكُم راعٍ ، وكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ ، فالإمامُ راعٍ ومَسؤُولٌ عنْ رعِيَّتِه ، والرَّجُلُ راعٍ في أهلِهِ وهو مَسْؤُولٌ عن رعيَّتِهِ ، والمرْأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومَسْؤُولَةٌ عن رعِيَّتِها ، وكُلُّكُم راعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ))

●فانظر ياعبد الله كيف عظَّم الشَّرع المسؤوليَّة العُظمى على الأبوين،

-ولهذا نبَّه الشَّارعُ إلى أن الذريَّة تخرج على الفطرة،

-فيكون الدور بعد ذلك عِلى الأب:

فإما أن يُوجِّهوا الأبناء إلى الصلاح، وإما أن يوجِّهوا الأبناء إلى الفساد،

فقال –ﷺ-: ((كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرةِ ، فأبواه يُهوِّدانِه ، أو يُنصِّرانِه ، أو يُمجِّسانِه)).

●فانظروا يا عباد الله، كيف جعل الشارعُ انحراف الأولاد أو استقامتهم على الفطرة، وهي الإسلام، والأدب والحياء، وكل ما يقرُّهُ الشَّرع، يقعُ ذلك على الأبوين، فإن كان الأبوان صالحين، ووجَّها أبناءهما على طاعة الله ورسوله، وعلى ما فيه صلاحٌ لأولادهم، صلُح الأولاد،

-وإن أهمل الأبوان وهو واقع كثيرٍ من الناس اليوم، إلا من رحم الله، إذا أهملا الأبوان أولادهما، نتج عن ذلك ضياعٌ وتشريدٌ وخروج جيلٍ فاسدٍ في المجتمع.

والنبي –ﷺ- في هذا الحديث يشير إلى أعظم أُسس التَّربية،وهو إصلاح الاعتقاد، كما جاء في البخاري، من حديث النعمان بن بشير-﵁-، وفيه أن النبي –ﷺ-قال: ((ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإذَا فَسَدَتْ ، فسدَ الجَسدُ كُلُّهُ . ألا وهِيَ القَلْبُ))، ولا صلاح للقلب، يا عباد الله:

-إلا أن يرسخ في قلبه التوحيد، والعقيدة الصحيحة، ومحبة الله، ومحبة رسوله، ومحبة المؤمنين، يُؤصِّلُ فيهم، أصول الإيمان، الإيمان بالله وملائكته

وكتبه ورسله، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر خيره وشرّه.

-يؤصّل في قلب ابنه أنه لا معبود بحقٍ إلا الله، فلا يعبد العبد إلا ربَّه، ولا يستغيثُ إلا بربّه، ولا يستعينُ إلا بربّه، ولا يسألُ إلا ربَّه، ولا يتوكَّل إلا عليه –سبحانهُ وتعالى-، لا يذبحُ إلا لله، ولا ينذرُ إلا لله، ولا يحلفُ إلا بالله، إلى غير ذلك من مسائل التوحيد والاعتقاد.

●فوجب على الإنسان أن يُعرِّف ابنهُ بالله، وبرسوله وبدينه بالأدلَّة،

- لأنَّ ذلك هو أساس الصَّلاح، ولهذا يقول الله—سبحانه وتعالى:

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾[العصر]

وإذا نظرنا إلى حال الأنبياء في تربيتهم لأُممهم، وتوجيههم لأُممهم، رأيتهم يبدؤون بالتوحيد،﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: 59]

ثم يُتابع الأبوان أمر الصلاة لدى أولادهم:

-كما قال الله –تعالى-قبل ذلك، عن أنبيائه، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ ﴾[مريم: 55]، والنبي –ﷺ- يقول: ((مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ))

-فدلَّ على أنه ينبغي للأبوين، أن يهتما بتربية أولادهما، وأن تبدأ التربية من الصغر ، فيؤصِّل في قلوبهم محبة الإيمان والصلاة.

●فهذه أُسسُ نبّه عليها الشَّرع، لإصلاح الذُريَّة، والأُسرة.

●فاتقوا الله يا عباد الله، واعملوا بأوامر الله–تعالى-، وأوامر رسوله-ﷺ- ،تفلحُوا، وتسعدُوا أنتم وأولادكم

عباد الله: اعلموا أن مسؤولية تربية الأولاد، ومتابعتهم، والعمل على إصلاحهم، وتوجيههم، أعظم المسؤوليات عند الله –سبحانه وتعالى-وأعظم الأمانات، التي يُسأل عنها العبد يوم القيامة.

إن كثيرًا من الآباء والأمهات ينظرون أن حدَّ مسؤولياتهم نحو أولادهم، هو:

- تأمين الملبس والمأكل والمشرب،

-وما سوى ذلك هذا ليس بمسؤوليتهم، وهذا الخطأ الشَّائع، هو الذي أنتج أجيالًا وأطفالًا وأُسرًا غير مستقيمة!

-فإن الواجب على الأبوين كما أسلفنا أمانةٌ عظيمةٌ يُسألُ عنها العبد يوم القيامة، وربُّ العالمين يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: 27].

●واعلموا يا عباد الله: أنّ من أعظم أسباب الصَّلاح، (الدعاء)

- فالدعاء شأنُهُ عظيم، ولا ينبغي للوالدين أن يُهملا شأن الدعاء لأولادهم، وقد نبَّه الشَّرع على ذلك، -فهذا زكريَّا –عليه السَّلام-يسألُ ربَّه أن يهبهُ ذريَّةً صالحة:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران: 38].وهذا إبراهيم –عليه السلام-يسألُ ربَّهُ أن يُعيذهُ هو وأولاده من عبادة الشياطين، ويستعيذُ بالله من الشرك:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: 35] ويقول أيضًا:﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾[إبراهيم: 40].ونبينا محمَّد –ﷺ- ذكر أن دعاء الوالد لولده مُستجاب،

-فانتبهوا لهذا الأمر ، فإنه أعظم سلاح لإصلاح الذُريَّة، فادعوا لأولادكم بالصَّلاح، فإن هذا من المطالب الشَّرعيَّة، ومما يرضاه رب العالمين عن عباده.

نسأل الله – سبحانه وتعالى- أن يُصلح أحوال المسلمين، اللهم أصلح شبابنا وشباب المسلمين، وأصلح ذرياتنا وذريات المسلمين يا ذا الجلال والإكرام، والحمد لله ربِّ العالمين.





ركائز
إصلاح الأسرة



خطبة أقيمت بمسجد:

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بدبي

عبدالله بن صلفيق الظفيري